في قلوب المؤمنين

إشراقات من حياة العلامة الحجة
الشيخ عبدالمجيد أبو المكارم

أديب أبو المكارم

أديب عبدالقادر أبو المكارم

في قلوب المؤمنين

إشراقات من حياة العلامة الحجة الشيخ عبدالمجيد أبو المكارم

الطبعة الثانية

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

الإهداء

إلى من نذر نفسه لخدمة الدين، والمنبر الحسيني، ومجتمعه، طيلة عمره الشريف.

إلى من سار بين الناس، شامخًا بعلمه، بهيبته، بخلقه، وفضله، وعاش معهم كواحد منهم.

إلى من عرفناه: عالماً عاملًا، أديبًا خطيبًا، إمامًا للجماعات والجمعات.

إلى من رحل عنا، وترك خلفه شعبًا كبيرًا ـ أحبه وعشقه ـ يتلظى على جمر الفراق.

إلى المجيد وابن الأماجيد، صاحب الفضيلة العلامة الحجة الشيخ عبدالمجيد بن آية الله المقدس الشيخ علي أبو المكارم، رحمهما الله.

أقدم هذا البحث المتواضع، راجيًا أن يجعله الله تعالى في ميزان الأعمال.

أديب أبو المكارم

تقديم

تفضل علينا الأخ الفاضل الشاعر الأديب، الأستاذ عدنان عبدالقادر أبو المكارم، بمراجعة بحثنا، والتقديم له. وقد أعطانا من وقته الكثير، فكلمة الشكر لا تفي بحقه، ولكن ليس لنا شيء نقدمه له سواها، فجزاه الله كل خير، وشكر جهوده الطيبة. وليس هذا بغريب عليه، فقد عرفته صاحب نفس أريحية طيبة نبيلة، يفرح إذا رأى أحد إخوته أو بني وطنه قد حقق نجاحًا، وهذا من طيب أصله. ولا يسعني هنا الإطراء عليه أكثر حتى لا أطيل، فإليك ما جادت به يراعته...

(بسم الله الرحمن الرحيم)

إنّ دراسة حياة العلماء الأجلاء العاملين، المخلصين لدينهم، ومجتمعهم، إشادة بمواقفهم النبيلة وأدوارهم الرائدة، وتنقيبًا عن

بصماتهم التي وسموا بها جبين الدهر، وتخليدًا لذكراهم العطرة، دليل جلي على وعي المجتمع، وارتباطه برجاله وقادته، وتمسكه بدينه وحماته.

إنها صورة مشرقة لمجتمع تخطب وده المجتمعات، وتنحني إجلالًا له كلمات الثناء والإعجاب، لأنه مجتمع تربى على الفضيلة والوفاء، منصفًا بُناته وحماته الذين وصلوا به إلى المراتب العالية، وصانوا فكره من الشلل، وساروا به في النهج السوي لئلا ينزلق في أوحال الرذيلة، ويتخبط في متاهات الجهل والعمى.

إنها قبلة وفاء يطبعها حملة الفكر في المجتمع الراقي على جبين علمائهم الأبرار الذين كرسوا حياتهم، وبذلوا جهودهم ومهجهم، وتنكروا لذاتهم من أجل رفعة المجتمع وسعادته وبقائه، كما إنها شعلة مضيئة تنير الطريق للأجيال المؤمنة القادمة، وكنز ثمين تفخر به على المدى الطويل، وصفحات مجيدة تحفظ لها عزتها وكرامتها، وتذكرها دائمًا بتاريخها وتراثها الأصيل، وأن سرّ بقائها ورفعتها مرهون بمحافظتها على هذا التراث، والتفافها بعظمائها وعلمائها، وإكبار خدماتهم، والسير على خطاهم، وتخليد ذكراهم.

إنّ هذه الدراسة الطيبة ـ التي بين أيدينا ـ مرآة صادقة تعكس وفاء مجتمعنا لعلمائه وقادته، واحتفائه بهم، وتقديره لخدماتهم، وحرصه الشديد على حفظ نفائسهم، وتخليد ذكراهم.

كما إنها صفحات مشرقة تضم في طياتها سيرة عالم جليل من علمائنا الأبرار العاملين، نذر نفسه لخدمة هذا البلد الطيب، وتوعية أبنائه وخدمتهم طيلة نصف قرن من الزمان، مربيًا وموجهًا ومعلمًا دون كلل أو ملل، ابتغاء مرضاة الله، وخدمة للدين والعقيدة، سالكًا منهاج آبائه الصالحين، وأقرانه الطيبين حتى وافاه الأجل المحتوم، إنه العلامة الجليل الحجة الشيخ عبدالمجيد بن آية الله المقدس الشيخ علي أبو المكارم (رحمة الله تعالى عليه)، الذي فارقنا هذا العام، في وقت نحن أحوج ما نكون فيه إليه، وإلى عطاياه السخية التي عودنا عليها من خلال منبره الحي المتجدد، وخطبه الرائعة الموجهة، ومؤلفاته المفيدة، وأشعاره العذبة، وخدماته الاجتماعية الجليلة، ودعائه الصادق المنبعث من قلبه النقي المليء بالحب لكل أبناء المجتمع.

إن قراءة هذه الدراسة بتمعن تصل بنا إلى نتيجتين:

النتيجة الأولى: تتمثل في معرفة مكانة هذا العالم الجليل في قلوب أبناء مجتمعه، ووفائهم له، وتقديرهم لدوره الرائد في مجال العلم، والخطابة، والأدب، والخدمة الاجتماعية، فهو من أوائل النافرين لطلب العلوم الدينية في عصرنا الحاضر، والإمام الوحيد الذي يقيم صلاة الجمعة في قطرنا الغالي، كما إنه من رواد التجديد في الخطابة الحسينية، وصاحب قلم وقريحة أثرى من خلالها المكتبة الإسلامية، وهو إلى جانب ذلك كله يحمل بين جنبيه روحًا مرحة، ونفسًا تتوق

للأعمال الاجتماعية على الرغم من مشاغله، وابتلائه بالعديد من الأمراض والهموم التي أثقلت كاهله، وأجهدت نفسه، وأوهنت قواه.

النتيجة الثانية: تتمثل في أسلوب الدراسة المتميز الذي قام به أحد أبناء هذا المجتمع الوفي، وهو الشاب المؤمن الأديب أديب عبدالقادر الشيخ علي أبو المكارم، الذي بهرني بأسلوبه الجميل الشيق في عرض موضوعه، وتسلسل أفكاره، وسهولة ألفاظه، ودقة تصويره، وحسن اختياره للجوانب الهامة في حياة هذا الرجل العظيم، وعرضها بأسلوب رائع بعيد عن التكلف والمبالغة. أضف إلى ذلك تعريفه المقتضب بأدوار الشيخ الرائدة، وعطاياه المثمرة، وإنجازاته الخيرة، وكتبه النافعة التي أتحف بها مجتمعه، وتصويره الجميل لشخصيته وما امتازت به من النبل والكرم والعطاء، وتحليله الجميل لشعره، ونقده موضوعيًا بعيدًا عن الإسفاف والمجاملة.

إن قارئ هذه الدراسة يجد نفسه أمام عالم جدير بالتبجيل والتقدير، خليق بالكتابة عنه وتخليد ذكراه، كما يجد نفسه أمام كاتب قدير يستحق الاحترام والتشجيع، وينبئ بمستقبل مشرق إن شاء الله.

فمزيدًا من العطاء أيها الأديب، وجزاك الله عن عمك وعنا، وعن العلم وأهله كل خير، وأخذ بيدك إلى ما فيه الخير والصلاح إنه ولي التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

عدنان عبدالقادر أبو المكارم

٢٩ شوال ١٤٢٣هـ

الشخصية اللامعة

الأسرة الفاضلة:

في عام ١٢٦٣هـ جاء إلى القطيف ونزل العوامية بعد أن أدى فريضة الحج. ذلك العالم الفذ نادرة عصره، ذو النعم السابغة، والأيادي الواسعة الذائعة، أحد مراجع التقليد في عصره، المولى الأواه العلامة الجليل عز الدين الشيخ عبدالله بن العلامة الشيخ أحمد التغلبي الستري البحراني.

حل بالعوامية ضيفًا فاستقبله أهلها وأحاطوه بالتجلة والاحترام. والعوامية أرض ضمت أبناء شجعان لهم غيرة دينية، وكرامة وأريحية، وحب وتقدير للعلم والعلماء، لذا أحبوا أن يبقى الشيخ معهم ليكون فيهم مرجعاً يرجعون إليه في كل أمورهم الدينية والدنيوية. عندها قصدوا العلمين الفذين الإمامين: الشيخ علي والشيخ محمد أبناء الشيخ المبارك آل حميدان، وسألاهما عن منزلة هذا الشيخ وأهليته

للمرجعية والتقليد، فأشادا به وأرجعاهم إليه.

عندها ما كان من أهل العوامية إلا أن قاموا بخدمته وأعدوا له مسكنًا يليق بمكانته ومقامه، ولكي يبقى هذا العالم الجليل معهم قاموا بإحضار أهله الكرام من البحرين (سترة) إليه وكان في معيتهم ابنه الجليل أبو المكارم الشيخ محمد وهو في ذلك الحين ابن ثمان سنين تقريبًا.

جاءوا بهم وتفاجأ الشيخ بوجودهم في منزله فعرف أن أهل العوامية أرادوا أن يظفروا ببقائه، فعاف موطنه الأصلي من أجل دينه. وأقام معهم في العوامية قرابة تسعة عشر عاماً ينشر علمه وفكره ويوجههم ويرشدهم حتى وافاه الأجل فيها عام ١٢٨٢هـ ودفن بمقبرتها، وقبره معروف إلى الآن لم يتغير رسمه.

خلّف هذا العالم الفذ سبعة أبناء كان لهم ثقلهم ومكانتهم، أكبرهم العلامة المشهور الذائع الصيت الثقة الشيخ أبو المكارم محمد بن الشيخ عبدالله (المشار إليه سابقًا)، والذي عاش مع أبيه في العوامية ونهل من علمه وفكره.

توفي والده وهو ابن ثمانية وعشرين سنة تقريبًا. كان من أفاضل العلماء وقد اشتهر بمكانته العلمية والأدبية، وعرف بين الناس بحسن الخلق والكرم حتى كني بأبي المكارم، وهو والد الإمام المرجع الكبير آية الله العظمى الشيخ جعفر أبو المكارم، العوامي مولدًا ونشأة، حيث

عاش مع أبيه وبعده ينشر في منطقة القطيف علمه، إمامًا للجمعة والجماعة، وجمعته أول جمعة تقام في القطيف.

توفي في البحرين فخلفه نجله آية الله الفقيه الشيخ علي، الذي سار على نهج آبائه، وأمسك زمام القضاء في القطيف والبحرين وأقام الجمعة والجماعة فيهما، متوجًا بتاج العلم والفضل والكرامات. وهو والد فقيدنا الراحل فضيلة العلامة الشيخ عبد المجيد[١].

هذه هي أسرة شيخنا المجيد، سلسلة من العلماء والفقهاء والفضلاء والأدباء والكرماء، فرحم الله الجميع وأسكنهم الفسيح من جنته وحشرهم وإيانا مع النبي وآله الميامين صلوات الله عليهم أجمعين.

هذا وقد اكتفينا بذكر آبائه دون التعرض هنا إلى باقي أعلام أسرته بغية الاختصار، وإلا فمنهم أعلام كثيرون لهم مكانتهم في القطيف والبحرين وعمان وإيران، وربما تعرضنا لهم في موضع آخر من البحث، أما من المعاصرين فيأتي على قمة الهرم سماحة العم العلامة الشيخ سعيد أبو المكارم ومكانته وشهرته لا تحتاجان إلى مزيد بيان[٢]، وسيدي الوالد الحاج عبدالقادر أبو المكارم محب أهل البيت

(١) راجع ما ذكرنا مفصلاً في كتاب (أعلام العوامية) لعمنا الفاضل العلامة الشيخ سعيد بن الشيخ علي أبو المكارم، ص٢٤.

(٢) عالم من علماء البلاد، وعلم من أعلامها، وخطيب من الخطباء المشار إليهم بالبنان، بل هو صاحب مدرسة في الخطابة لها صبغتها ونكتها الخاصة التي تميزها عن غيرها، مدرسة تستمد جذورها من أصالة المنطقة وتضفي عليها التجديد الذي اكتسبه من علمه الغزير وثقافته الواسعة وخبرته في ارتقاء المنابر على مدى أكثر من نصف قرن. تعال معي لنقرأ، ص٨٦ للوالد.

وصاحب المؤلفات العديدة أشهرها موسوعة المدائح النبوية وهي في عشرين مجلدًا. وسماحة ابن العم العلامة الشيخ محمد علي بن الشيخ عبدالمجيد وسيأتي ذكره وآخرون فيما بعد.

ولا يفوتنا هنا التنويه بأسرة المرحوم العلامة القاضي المميز الشيخ منصور الستري في البحرين ومكانتها السامية وهي تنتمي إلى نفس الأسرة، أسرة عز الدين الشيخ عبدالله المدفون في العوامية، ويأتي في صدارتها هو رحمه الله وابناه: العلامة الشيخ محمد رحمه الله، والعلامة الدكتور الشيخ محمد علي.

نسب وحسب:

ينتسب الشيخ (رحمه الله) من جهة الأب إلى الأسرة التي تشرفنا بذكرها، أسرة الشيخ عبد الله، فهو:

سماحة العلامة فضيلة الشيخ عبد المجيد بن آية الله المقدس الحجة الشيخ علي بن الإمام المجاهد آية الله العظمى الشيخ جعفر بن أبي المكارم الشيخ محمد بن عز الدين الشيخ عبد الله بن الشيخ أحمد الجدعلاني الستري التغلبي.

أما من جهة الأم فهو ابن الحرة الكريمة الحاجة آمنة بنت الشيخ عباس بن الشيخ علي رضا ابن الإمام الشيخ عبدالله ـ المشهور بالمقلد ـ بن الشيخ عباس الستري، وهي عائلة لها مكانتها في الفضل والعلم وتنتمي إلى نفس الأرومة التي تنتمي لها أسرة الشيخ الفقيد.

حديث عن النسب:

إن لهذا النسب العريق ثقل كبير في العالم الإسلامي، فكل علم من أعلام هذه الأسرة ميزة تميزه عن أقرانه في عصره، لمرجعيته، أو علمه الفياض، أو جهاده في سبيل العقيدة، إضافة إلى المصنفات العديدة التي خلفوها، وكان لها ثقلها الكبير في المكتبات الإسلامية.

وحديثنا عن النسب ومكانته الراقية ليس للتفاخر والتعالي على الناس ـ معاذ الله ـ وإنما لأمور هامة، منها:

١. **الوفاء:** أي شخص يترجم له لا بد من ذكر اسمه ونسبه، فإن كان من آبائه من له مكانة علمية أو اجتماعية فلا بد من ذكرها تقديرًا ووفاء.

٢. **البقاء بعد الموت:** ولعل هذا الحديث يكون من مصاديق ما ضمنه تعالى لعبده المؤمن في الحديث: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث :... أو ولد صالح يدعو له).

فالإنسان إذا صلح وأصلح أولاده فسوف يدعون له بالمغفرة والرحمة، أما إذا كان من العلماء والعاملين لخدمة الدين فذاك سبيل إلى زيادة الخير، فالعالم أعرف بحقوق آبائه وأعرف بالدعاء والتوجه إلى الله، وهو ذكر لأبيه وحامل لاسمه، فإذا رأى منه الناس خيرًا شكروه وترحموا على أبيه، وبه يبقى اسمه في الخالدين، ويذكره الذاكرون كما قال تعالى

في كتابه الكريم حكاية عن نبيه إبراهيم الخليل ﷺ: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾. وهذا من مصاديقه.

٣. **ميزة للمترجم له:** السلالة الطيبة ميزة يمتاز بها الابن المترجم له، فحينما تقول: هو ابن فلان العالم، أو ابن فلان الكاتب المشهور مثلًا. فإنه بذلك يكون حريًا بالاحترام والتقدير حتى قبل معرفة ما يحوي في طياته من علم وفضل، ولو من باب التقدير لأبيه، فإذا كان على سيرة أبيه ازداد الناس حبًا وتقديرًا له. وهذا من فضل الوالد على ابنه أن يجعل لابنه مكانة عند الناس واحترامًا، ومن واجب الابن بالمقابل أن يحافظ على هذه السمعة، وهذه السيرة الحسنة لأبيه وأجداده، فيحذو حذوهم، ولذلك تسمع دائمًا حينما يمدح شخص ما بشيء معين يقال: لا غرو فهو ابن فلان.

فكأن النسب الطيب يكون إثباتًا لمكانة الشخص المتحدث عنه. ونحن لا ندعو هنا للطبقية، ولا نقول: إن العالم الذي ينتمي إلى سلالة تخلو من آباء مثله يكون حظه الإهمال من الناس له، وعدم الاهتمام به، لا، فهو شخص ينبغي أن يقدر لأنه يرفع اسم عائلته لا عائلته التي ترفع اسمه، وقد يواجه صعوبات لإثبات ذاته، لذا فهو، أيضًا، حري بالاحترام والتقدير.

إن مقياس التفاضل بين الناس عند الله التقوى: ﴿إِنَّ

أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، ولو اتبع الناس شخصًا لأنه ابن فلان العالم فقط وهو بعيد عن التقوى والورع والعلم فلن يكون نصيبهم إلا التخلف والتراجع، والجنوح عن جادة الصواب.

ما نريد قوله: إن النسب الطيب ميزة يمكن أن تضاف إلى رصيد العالم المنتمي لهذا النسب، وتزكية له، لا لأن يتعالى ويتفاخر على الناس.

٤. **الحض على المثابرة:** النسب والسمعة الطيبة جهد الآباء، صنعوه كابرًا عن كابر، علمًا وفكرًا وورعًا. والابن إذا رأى هذا النسب الذي هو سلسلة من الأعلام الذين يشار إليهم بالبنان سوف يسعى جاهدًا لأن يحفظ هذه المكانة، ويقدرها لهم بسيره على النهج الذي ساروا عليه، وتربية أبنائه على ذلك.

لذاك فذكر النسب بمثابة حث على السير وفق منهج المترجم وآبائه السليم، والمحافظة عليه ليس فقط لأبنائه وذويه فحسب، بل حتى لمن يريد أن يصنع له نهجًا ونسبًا عظيمًا كهذا.

٥. **التعرف على ملامح الشخصية الذاتية:** من خلال النسب تستطيع أن تتعرف على الشخص الذي تريد أن تترجم له. لأن الابن لا بد أن تبرز فيه صفات من آبائه وأجداده.

هذه الأمور التي تدعونا لذكر هذا النسب الكبير الذي ينتمي إليه مترجمنا الراحل. ويزداد الرجل فضلاً إذا نال حسن النسب من الأبوين، وقد أكدت الروايات في السنة النبوية المطهرة وفي سيرة أهل البيت الكرام عليهم السلام على حسن الاختيار لأن (العرق دساس)، ولذلك طلب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من أخيه عقيل الذي كان عارفًا بأنساب العرب أن يختار له امرأة من بيوت الحسب والنسب، امرأة قد أنجبتها الفحولة، لتنجب له ولدًا يكون ناصرًا لابنه الحسين عليه السلام، فاختار له فاطمة الكلابية (أم البنين) لشجاعة آبائها، فأنجبت له البطل العظيم أبا الفضل العباس، الذي كان مثالًا للشجاعة والشهامة.

شيخنا الجليل عبد المجيد نال شرف النسب من جهة أبيه ومن جهة أمه أيضًا، كما ناله بالفضل والعلم والسيرة الحسنة.

شموس ما زالت مشرقة:

لا بد لنا هنا من وقفة نترجم فيها بعض آباء شيخنا الكريم (قدس سره)، بادئين بآبائه من جهة أبيه، وهم:

١ـ أبو المكارم الشيخ محمد بن عز الدين الشيخ عبد الله:

نبراس الحكماء الأعيان، ودستور أعاظم علماء العالم أبد الأزمان، فريد الدهر والأوان، نادرة الوقت والزمان. كما يقول عنه ابنه الإمام الشيخ جعفر.

اشتهر بمكانته العلمية والأدبية، وعرف بين الناس بحسن الخلق

والكرم الفاخر، له شعر راق وكتب قيمة، منها: أجوبة المسائل النحوية، عدة مناظرات في الرد على بعض العلماء مُعضدة بدليل المعقول والمنقول، ومجموعة شعرية.

ولد في البحرين ١٢٥٥هـ، وعاش في العوامية، وتوفي في المدينة المنورة ١٣١٨هـ ودفن في البقيع.

٢ـ آية الله العظمى الإمام الشيخ جعفر بن (أبو المكارم) الشيخ محمد:

فقيهٌ من فقهاء عصره، ومرجعٌ من مراجعه، فخر العلماء الراسخين، فيلسوف العصر وحجة الزمن وإمام الجمعة. أولاه أبوه تربية خاصة لما التمسه فيه من نبوغ فزقه بالعلم والفضل وأورثه من مكارم أخلاقه.

درس على أساتذة هم أساطين في العلم تقاة ورعون. وله آثار علمية تربو على أربعين كتابًا تدل على سعة علمه منها: تسعة عشر كتابًا في الفقه، وأربعة في الأصول، وثلاثة في البيان، وأربعة في الاستدلال، واثنان في المنطق، وواحد في النجوم، وسبعة في مصائب أهل البيت عليهم السلام، وغيرها من الخطب والمواعظ، وديوان شعره الكبير، وله رسالة عملية ولابنه الشيخ علي تعليق عليها.

وهو أول من أقام الجمعة في القطيف، حتى أنه لقي المجابهة ممن أشربوا في قلوبهم القول بعد إقامتها، إضافة إلى أنه كان يقيمها في البحرين أيام إقامته فيها. ولقد وصف المبارك عمله على إقامتها في القطيف بالجسارة. قال المبارك: وكان لشدة جسارته وقوة عارضته،

أقام الجمعة في القطيف على كثرة المعارضين له، وقوة المنحرفين عن رأيه في الجمعة، فسار قدمًا لم يتعثر، ولم يتلكأ، ولو كان غيره لرجع القهقرى، وقعد القرفصاء [١].

ولد في العوامية ١٢٨١هـ، وتوفي في البحرين ١٣٤٢هـ وله فيها مشهد بجوار مشهد الإمام الكبير الشيخ ميثم البحراني.

٣ـ آية الله الفقيه الشيخ علي بن الشيخ جعفر:

تربى على يد أبيه، ودرس عنده المبادئ، فنهل من هديه وعلمه، كما تتلمذ على يد مجموعة من العلماء الأفاضل، حتى نال مرتبة عالية في العلم والفقاهة، متوجة بالورع والتقوى.

تولى القضاء في البحرين والقطيف، وأقام الجمعة والجماعة فيهما. له مصنفات عديدة تربو على ثلاثة عشر كتابًا منها: اللؤلؤ المنظوم، والهداية إلى حبوة الميراث، وشرح سداد العباد.

ولد في العوامية ١٣١٣هـ، وتوفي في سيهات ١٣٦٤هـ ودفن فيها[٢].

أما أباؤه من جهة أمه فنكتفي بذكر جده الشيخ عباس بن الشيخ علي رضا بن الشيخ عبد الله بن الشيخ عباس بن الشيخ ضياء الدين

(١)) الأستاذ. محمد أمين أبو المكارم: دعوة الحق إلى صلاة الجمعة، مجلة الواحة، العدد٦، ١٤١٧هـ، ص١٨٣.

(٢) راجع التراجم مفصلة في كتاب الوالد الكريم (تعال معي لنقرأ) من ص٤٩ ـ ٧١.

الستري:

ذو مكانة علمية راقية، ونسب جليل القدر فجده الشيخ عبد الله مرجع كبير من المراجع العظام، وعليه المعول في عصره في دائرة الإفتاء والقضاء، وله مؤلفات كثيرة [١].

كان الشيخ عباس فقيهًا ورعًا صالحًا تقيًا، تولى الجمعة والقضاء، وله حواش على كتاب جده الشهير (منية الراغبين) في الفقه، وله مقالة في الإرث نقضها ابن عمه الشيخ جعفر بن الشيخ محمد أبو المكارم، نقضها في كتاب أسماه (جمانة البحرين). توفي سنة ١٣٣٤هـ [٢].

من خلال هؤلاء الأعلام الذين ذكرنا، نستطيع أن نعرف مكانة هذه الأسرة، وأن نعرف مكانة فقيدنا الراحل الشيخ عبد المجيد، ونستطيع من خلال ذلك أن ندرس سيرته العطرة رحمة الله عليه وعلى آبائه الكرام.

(١) أعلام العوامية للشيخ سعيد أبو المكارم.
(٢) أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين لسالم النويدري، ج٢، ص٦٦١.

سيرة ذاتية

المولد والنشأة:

ولد رحمه الله في العوامية سنة ١٣٤٤هـ، بعد وفاة جده الإمام الشيخ جعفر بسنتين، فلم يحظَ برؤيته، كما أنه لم يحظَ برؤية جده لأمه الشيخ عباس. وللجدين سيما إذا كانا من أهل الفضل والعلم دور في التربية لما يغدقانه على حفيدهما من حنان وعطف، وعلم وفضل، إلا أن شيخنا الراحل رحمه الله لم يخسر الوالد والوالدة، وهما لهما الدور الأكبر في الرعاية والتربية.

فتربى في حجر والدته العفيفة الشريفة ذات البيت الرفيع، فأرضعته لبان الإباء، وحب الله تعالى ونبيه المصطفى وآله الميامين صلوات الله عليهم أجمعين.

عاش مع أبيه آية الله المقدس الشيخ علي أبو المكارم، قرابة عشرين سنة، استفاد خلالها من علمه وهديه، ومن سيرته الطيبة

الحسنة. والظاهر أن شيخنا المجيد لم يتوجه لدراسة العلوم الدينية في الحوزات العلمية أيام حياة أبيه، إذ كان منصرفًا لتحصيل الكسب الحلال لتأمين المعيشة الحسنة، حيث كان الشيخ يحب الاعتماد على ذاته ويعمل كثيرًا من أشيائه الخاصة بنفسه حتى بعد أن أصبح عالماً يقتدى به.

بالرغم من ذلك لم يحرم هذا الشاب الطموح من تحصيل مبادئ العلوم الدينية، فدرس القرآن الكريم علي يد الخطيب الشهير ملا علي بن سالم السيهاتي[1]، وكان أبوه الحجة الشيخ علي يعطيه مع بعض إخوته بعض الدروس كمبادئ النحو ومبادئ الفقه، ويدربهم على الخطابة الحسينية، كما ذكرت لي ذلك عمتي الفاضلة الحاجة الوجيهة خادمة الحسيين عليهما السلام: (أم علي) تقية بنت الشيخ علي.

وهكذا كان مع أبيه في حله وترحاله بين القطيف والبحرين، يحضر مجالسه، ويأتم به في صلاة الجماعة والجمعة والأعياد، فينهل من نمير علمه وهديه العام الذي يعطيه للناس، ويتعلم منه دروسًا خاصة، حتى شاء الله أن يختار أمانته، وتوفي والده الرحيم، وكان لا بد له من خلف، فتوجهت الأنظار نحو المجيد فتم ابتعاثه من قبل الأوقاف الجعفرية في البحرين إلى النجف ليدرس في حوزاتها العلوم الدينية، وكان أهل القطيف بحاجة إليه، فما كان منه إلا أن أجاب طلبهم وهاجر

(١) كما ذكر ذلك ملا حسن بن باقر من أهالي حلة محيش.

عن وطنه، تاركًا عائلته.

ثم آب إلى وطنه عالماً فقيهًا، وظل ينشر علمه وهديه، في قرى القطيف وسيهات، وقام بإمامة الناس في الجماعة والجمعة، وصار من خطباء المنطقة المشهورين، وأقام في سيهات، حتى توفي فيها بعد عطاء مستمر قرابة نصف قرن.

الأولاد:

تزوج رحمه الله أكثر من امرأة من كرائم أسرته وغيرها من القطيف والبحرين، ورزق منهن ثمانية عشر ولدًا، وثماني عشرة بنتًا.

أكبرهم سماحة الشيخ محمد علي المولود سنة ١٣٧٣هـ، وهو وصي والده والقائم مقامه في الوظائف الشرعية، وهو شخصية بارزة، يتميز بالأخلاق الفاضلة، والروح المرحة، وهو إمام جمعة وجماعة، وخطيب حسيني، وشاعر مقل.

وابنه الشيخ سليمان، الذي ولد سنة ١٣٨٤هـ، وهو خطيب وشاعر[١].

(١) راجع تعال معي لنقرأ، ص٨٠.

المسيرة العلمية

رحلته العلمية:

تربى شيخنا الراحل في بيت علم وشرف ومكانة رفيعة، في حجر أب رحيم كريم، وعالم نحرير، فأغدق عليه من نمير هديه وغذاه بخلقه ومجده. عاش في كنف والده آية الله الحجة الشيخ علي، وكما أشرنا سالفًا أنه تلقى على يديه بعض مقدمات الدروس الدينية واللغوية، كمبادئ الفقه والنحو، وغيرها من الدروس التي تعتبر أسس وقواعد لإنشاء عقلية فكرية دينية.

كما أنه درس القرآن الكريم على يد الخطيب ملا علي بن سالم السيهاتي، ويذكر الحاج الوجيه ملا حسن بن باقر أن ملا علي بن سالم كان يثني على الشيخ عبد المجيد، ويذكر بأن له قوة ملحوظة في الذاكرة، حيث كان يعطيه بعض القصائد والنصوص فيأتي في اليوم التالي يحفظها عن ظهر قلب، حتى لو كان النص طويلًا، وكان ذكيًا

فطنًا متميزًا على أقرانه.

وحين توفي أبوه المقدس الشيخ علي ترك في الناس فراغًا لا بد من ملأه، فتوجهت أنظار أتباع أبيه وجده إليه، وذلك في القطيف وسيهات وكثير من القرى المجاورة، وكذلك البحرين.

كان الشيخ حينها متزوجًا ويصعب عليه أن يترك أهله، أو أن يذهب معهم، إلا إن رضا وتشجيع زوجته المؤمنة خاتون بنت الشيخ سلمان (أم الشيخ محمد علي) على هذا الأمر، ودعمها المعنوي بل والمادي له[١]، كان من الدوافع التي شجعته على الهجرة، بالإضافة إلى طلب الناس منه، حتى أن بعض المؤمنين ضمنوا له نفقات السفر والإقامة طيلة أيام وسنوات الدراسة، بالإضافة إلى ابتعاثه من قبل الأوقاف الجعفرية في البحرين.

فهاجر إلى النجف الأشرف ودرس فيها فترة وجيزة، وتزوج هناك من ابنة الشيخ عبد الكريم الفرج، ثم انتقل إلى كربلاء المقدسة نظرًا لظروف زوجته الصحية، واستقر فيها. كان بعض الأحيان يبعث رسائل يخبر عن احتياجاته المادية ويقول: إذا كان هناك أشياء ورثتها من أبي فابتاعوها وابعثوا إلي بثمنها. إلا أن أحد المؤمنين رفض ذلك، وقال: أنا أتكفل بكل احتياجاته[٢].

(١) ذكرت لي ذلك عنها عمتنا الفاضلة تقية بنت الشيخ علي أم علي بن أحمد الفرج.
(٢) نقلاً عن ملا حسن بن باقر.

وظل مجتهدًا في درسه، مجدًا في تحصيل العلم، حتى أنه كان يدرس بعض الدروس الخاصة عند بعض العلماء في أوقات خارج وقت الحوزة الرسمي.

درس عند أفاضل العلماء ومنهم العلامة المفضال الشيخ عبد الكريم الفرج الذي أولاه بلطفه وعنايته، واعتبره ولدًا من أولاده، وزوجه من ابنته، وجعله وصيًا له بعد موته. وقد تلقى أكثر دروسه النحوية والفقهية على يديه [١].

وبعد أن قطع شوطًا كبيرًا في الدراسة، سبع سنين متواصلة، وتميز في دراسته وتحصيله نال ثقة أساتذته، وأعطي إجازات من قبل بعض العلماء الأفاضل تبين مكانته وفضله.

بعد هذا كله عاد إلى وطنه، بعد أن أتاه نبأ وفاة زوجته الأولى (أم الشيخ محمد علي) فأسف عليها أسفًا شديدًا، عاد إلى وطنه متوجًا بالعلم، مملوءًا بالحزن والهم.

استقر في سيهات ينشر علمه وهديه فيها وفي قرى القطيف المجاورة، سيما في الأماكن التي فيها أتباعه ومريدوه كالعوامية، والخويلدية، والجارودية، وحلة محيش وعنك.

أقام في سيهات الجماعة والجمعة، وكان يزور بعض المناطق الآنفة الذكر ليصلي فيها الجماعة، ويرشد أهلها ويوجههم من خلال

(١) راجع أعلام العوامية، ج٢،ص١٠٣.

المنبر الحسيني الذي تشرف باعتلائه طيلة حياته.

أساتذته:

درس شيخنا المجيد في منطقته القطيف كما ذكرنا عند والده المقدس الشيخ علي أبو المكارم بعض المقدمات في اللغة والفقه، وعند الخطيب الشهير المؤمن ملا علي بن سالم السيهاتي القرآن الكريم، وبعض الدروس والمفاهيم التي يعطيها معلمو القرآن الكريم في ذلك الوقت.

أما في النجف وكربلاء فقد درس عند مجموعة من العلماء الفضلاء منهم:

١. العلامة الشيخ عبد الكريم بن حسين الفرج العوامي، وهو علامة مفضال، وأديب ساحر البيان، ذو فضل وفقاهة، يتدفق العلم من بين جوانحه، شهد له معاصروه من أهل العلم والاجتهاد بنبوغه في الأدب والعلم، ووفور العقل وبلوغه، ويعتبر مجتهدًا متجزئًا [١].

٢. الشيخ باقر أبو خمسين الاحسائي.

٣. الشيخ منصور آل غنام.

٤. الشيخ محمد الخطيب.

(١) راجع أعلام العوامية، ج٢، ص٩٧.

٥. الشيخ أحمد بن حسن آل وائل الاحسائي.

٦. الشيخ محمد بن حسن آل عطية الاحسائي [١].

وهم من أفاضل العلماء، وكنت أود الترجمة لهم لأبين مكانتهم العلمية، فمكانتهم شاهدة أيضًا على منزلة الشيخ العلمية، لكن بغية اختصار المطلب.

المصنفات:

لشيخنا المجيد كتب قيمة شاهدة على فضله وعلمه، أكثرها كُتبت في فترة شبابه، في السبعينات والثمانينات الهجرية. وسوف نستعرض لك هذه المصنفات بإلمامة موجزة عن كل منها:

١ـ دليل المسلمين في أعمال الحرمين: مكة والمدينة:

كتاب شيق وسهل في أسلوب عرضه، وهو عبارة عن كتاب فقهي، قسمه إلى قسمين: القسم الأول لأعمال مكة، والثاني لأعمال المدينة المنورة. وهو يغني الحاج والزائر لمدينة الرسول ﷺ عن كتب كثيرة من كتب الأدعية والزيارات، وأحكام الحج والعمرة، ويعين المرشد الديني، لما احتواه من عرض جميل للمواقف والأعمال التي يؤتى بها في مكة والمدينة.

عرَّف فيه الحج، وبين فضله وأقسامه، ومواقيته وأحكامه، مرتبًا

(١) راجع تعال معي لنقرأ ص٧٤.

الأحداث التي فيه، ذاكرًا الأوراد التي تناسب كل موضع. ثم أعمال العمرة المفردة، وختمه بمنظومة جميلة بيَّن فيها السابق ذكره، في حدود مئة وستين بيتًا، أسماها (منحة القدير).

هذا بالنسبة للقسم الأول، الذي قرضه أخوه العلامة الشيخ سعيد أبو المكارم، وأرخه بتاريخ ١٣٧٧هـ بقوله:

هـذا وللمسترشـدين دليلهـم أرخْ (رسـول خطابـة وبيـان)

أما القسم الثاني فهو يختص بأعمال المدينة المنورة، من زيارة الرسول ﷺ، وأئمة البقيع عليهم السلام، والمساجد السبعة، وشهداء أحد، ومقابر المسلمين، بتبيان فضل كل ذلك، وذكر الزيارات والأدعية والأعمال الخاصة بكل مكان.

وقد قرض هذا القسم فضيلة الشيخ عبد العظيم الربيعي، وأرخه بتاريخ ١٣٧٩هـ بقوله:

وهذا لسـان الصدق ينطق عنهما فأرخ (دليلُ المسـلمين احفظنه)

طبع الكتاب الطبعة الأولى في النجف الأشرف، والثانية في لبنان.

٢ـ الدرة الفريدة في النظم المفيدة:

منظومة يتبين فيها جزالة شعره، ورقته وسهولته، وابتعاده عن التكلف، كما هو عادة المنظومات، التي تكون أسلوب شرح شيق، وطريق للحفظ والاستذكار، كما هي منظومة ابن مالك في النحو.

هذه المنظومة توضح الأدلة الأربعة التي يعتمد عليها الشيعة في الاستدلال، وهي القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، والعقل، والاجماع، جاء فيها:

أدلة الحكم فقالوا أربعة قرآننا، والسنة المتبعة
كذلك العقل مع الاجماعِ وكل أمر حل في النزاعِ
ليس له سوى دليل العقلِ فهو المبين الحكم لا بالنقلِ

ثم يقوم بشرح ذلك مفصلًا، في مثل هذا القالب الشعري، وقد عرض ذلك في حدود ٢٥٠ بيتًا، في ١٩ صفحة من الحجم الكبير، وقد طبع الكتاب في النجف.

٣ـ النفثات الصدرية في رثاء العترة النبوية:

يعتبر ديوانه الأول، نظمه باللغة الدارجة، إلا أنه أحب أن يتوجه ببعض القصائد العربية الفصحى، كما ذكر ذلك في مقدمته. قسمه إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ النفثة الأولى: وهي في الشعر الفصيح، وفيه تقريبًا أربع قصائد طوال في مدح أهل البيت عليهم السلام، وبعض التشطيرات.

ب ـ النفثة الثانية: في الشعر الدارج (الشعبي) وقد خصصه لرثاء الخمسة أصحاب الكساء عليهم السلام، وجاء جله على وزن الموشح، وكما أسماه في مقدمته، وذكر أنه من بحور الشعر الفايزي، على أربع تفعيلات، مثل مرثيته في النبي صلى الله عليه وآله:

مات النبي المصطفى واتزلزل الكون
اوماجت أرض طيبة وهاليها ينوحون

بسما قضى نور النبوة اتهدم الدين
واتزلزلت لافاق كلها والأراضين

ماجت سماها والخلق تلطم الخدين
او جملة أهل بيته على افراقه يونون

وللشيخ المجيد طور جميل يقرأ به هذه الأبيات والتي على وزنها، وقد أشتهر به [١].

وهو يقابل وزن الكامل في الشعر الفصيح مثل قول الشاعر:

تبكيك عيني لا لأجل مثوبة لكنما عيني لأجلك باكية

وبعضه يقابل وزن الرمل ست تفعيلات مثل قول الشاعر:

أحرم الحجاج عن لذاتهم بعض الشهور
وأنا المحرم عن لذاتهم كل الدهور

له على هذا الوزن:

من قضى نحبه النبي المصطفى الهادي الرسول
هجمت الأعدا على فاطم الصديقة البتول

وهو أيضًا من بحور الفايزي كما ذكر في مقدمته. كل قصائد

(١) أيضاً هذا الطور من أطوار الفايزي، إلا أنه أضفى عليه بعض التعديلات فاختص به.

الديوان جاءت على هذين الوزنين، إلا أنه له قصيدة فريدة في وزنها في هذا القسم، وهي على وزن الهزج:

علـــى الأهـــزاج تفعيـــلٌ مفاعيـــــلٌ مفاعـــــيل

مثل قوله:

صبـــر أيـــوب فـــي بلـــواه نقطـــة مـــن صبـــر لحســـين
ذاك ازداد فـــي البلـــوى وذا عمـــره فـــدا للديـــن

ج ـ النفثة الثالثة: في الشعر الشعبي أيضًا، خصصها لرثاء التسعة الأطهار من ولد الحسين بن علي عليه السلام، وهي موشحات كالنفثة السابقة في الوزن، وأيضًا له قصيدة فريدة في وزنها في هذه النفثة، وهي على وزن الرمل بأربع تفعيلات مثل قول الشاعر:

مـا انتظـار الدمـع ألا يسـتهلا أو مـا تنظـر عاشـوراء هـلا

جاء فيها:

ثور يبن العسكري ابسيف النصر وخـذ ثـارك بعد مـن قـوم الكفر

وآخر القصائد وهي ما تسمى باللطميات على شكل موشح أندلسي، مثل قوله:

ماتت الزهرا واهـل طيبة اتنادي هـاي المسـية
كل الأرض ترجف واهاليها اتنادي هـاي المسـية

يقع الديوان في ٣١٣ صفحة، من الحجم الكبير، به قصائد كثيرة وجميلة، تعبر عن المصاب بشكل حزين. وقد طبع الكتاب دون أن

يضع فيه اسمه، وربما كان ذلك لظروف أمنية في ذلك الوقت، وفي المرة الثانية طبعه باسم مستعار، لكن حقه لم يضع ولم ينسب إلى غيره. قرض له أربع شعراء أيضًا لم يذكر أسماؤهم.

٤ـ الأجوبة السيهاتية في المسائل النويدرية:

النويدرية نسبة إلى بلد السائل في البحرين، وكان قد سأله ثلاث مسائل حول بعض ألفاظ آيات معينة، والمعنى المراد منها، وطلب منه طبعها، فلبى ذلك، وأردف لها ثلاث عشرة مسألة سألها إياه بعض أهل بلدته، حول الصلاة، وبعض الأمور العقائدية، والمسائل الخلافية بيننا وبين أهل السنة.

كتاب من الحجم الصغير، يقع في ٦١ صفحة، طبع في النجف.

٥ـ المنح الإلهية في المجالس العاشورية:

كتاب ضم بين دفتيه ثلاثين مجلسًا (موضوعًا) أعدت لأيام العشر الأولى من المحرم التي يقام فيها العزاء على سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام، جعل لكل يوم ثلاثة مجالس، يبدأ المجلس بقصيدة باللغة الفصحى، ثم يتبعها بأبيات شعبية تناسب ما جاء في الأبيات الفصحى التي تلاها، ثم يتلو آية من كتاب الله الكريم، ويشرع في شرحها، ومن ثم يربط موضوعه بالمصاب الذي خصص لليوم الذي يقرأ فيه، ويدخل في المصاب، ويربطه بقصيدة رثائية شعبية.

ففي اليوم الأول مثلاً يقرأ آية ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّه...﴾ مثلاً

ويشرحها، ثم يختم كلامه بذكر أمر أحد الأئمة في استقباله لهلال المحرم، ليدخل تدريجيًا في الحدث الذي يريد الحديث عنه والأبيات الخاصة بذلك المصاب.

كتاب نافع، يستفيد منه الخطباء، سيما من كان حديث عهد بالخطابة الحسينية، أو من يريد أن يمتهن هذا الفن العظيم، لأن هذه الطريقة التي في الكتاب هي التي تقوم عليها الخطابة الحديثة الآن باختلاف فن العرض في شرح الموضوع والتمشي مع التجديد وأحداث العصر.

يقع الكتاب في ٢٨٤ صفحة من الحجم الكبير، قدم له وقرضه أستاذه العلامة المفضال الشيخ عبد الكريم الفرج، والشيخ حسين الاحسائي.

٦ـ هداية المسترشدين في معرفة أصول الدين:

كتاب عقائدي يتحدث عن أصول الدين الخمسة: التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، والمعاد، التي يعتقد بها الشيعة. يشرح ذلك بأسلوب واضح وسهل بالأدلة العقلية والنقلية، التي وردت في كتاب الله، وسنة نبيه، والمروي عن أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين.

يقع الكتاب في ١٣٤ صفحة من الحجم المتوسط، طبع الطبعة الثانية في النجف الأشرف، وقد قرض له مجموعة من الأفاضل، هم: العلامة الشيخ عبد العظيم الربيعي، والرحالة الشيخ حيدر المرجاني، وأخوه العلامة الشيخ سعيد أبو لمكارم، والمؤلف نفسه.

٧ـ الدرة البيضاء في شرح حديث الكساء:

أرجوزة حسنة في نظم حديث الكساء في مئة وأربعين بيتًا تقريبًا، في تسع صفحات، طباعة محلية.

٨ـ الدرة البيضاء في التوحيد:

منظومة في شرح توحيد الله وصفاته، مثل باقي أراجيزه التي سبق التحدث عنها.

تقع في عشر صفحات من الحجم المتوسط.

٩ـ المراثي الإسلامية في رثاء العترة النبوية:

ديوان شعر كبير، به قصائد طوال، جله في النبي وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام، كتب في كل منهم قصيدة مدح وأخرى رثاء على الأقل.

يدل ديوانه على تدفق قريحته الجياشة التي ما نضبت حتى آخر عمره الشريف، لكثرة القصائد التي جاءت فيه، كما أن طولها يدل على طول نفسه الشعري، كقصيدته الدرة الحسناء، التي كتبها في عامنا هذا ١٤٢٣هـ، وربما كانت له أخريات.

آخر الديوان قصائد شعبية في رثاء أهل البيت عليهم السلام، وقصائد فكاهية جميلة باللغتين الفصحى والدارجة، وبعض التخميسات والتشطيرات.

ضم قرابة ١٢٠ قصيدة باللغتين، وأكثره باللغة الفصحى، يقع الديوان في ٢٦٦ صفحة من القطع الكبير.

١٠ـ مجارة قصيدة الدمستاني (أحرم الحجاج):

قصيدة الدمستاني أشهر من أن تعرف، كما صاحبها، وقد جارى شيخنا المجيد هذه القصيدة في تسعة وخمس مئة بيت في عام ١٤١٤هـ طبعت مع ديوانه (المراثي الإسلامية)، ثم أكملها بعدئذ لتصل إلى ألف بيت. دون في الملحمة سيرة الحسين عليه السلام ومن معه، من خروجه عليه السلام من المدينة إلى مقتله الشريف، مع ذكر بعض ما جرى بعد مقتله. ولم تطبع كاملة حتى الآن.

١١ ـ المحاضرات الرمضانية:

قيل إن له كتابًا بهذا الاسم، يضم بين دفتيه خطبه التي ألقاها في الأعياد والجمع.

المكانة الاجتماعية:

غاب الشيخ عن وطنه، وطال انتظار الناس والمحبين، ظلت أنظارهم شاخصة تترقب رؤياه البهية. جماعة تسأل: متى سيأتي فضيلة الشيخ؟ لقد طال غيابه! جماعة تدعوا: اللهم وفقه وزده علمًا وفقهًا وسدادًا، وأرجعه لنا سالماً غانمًا.

وبعد السنوات السبع التي قضاها في النجف وكربلاء، آب إلى بلده الحبيب، فصار الناس في فرحة لا توصف، هدأت نفوسهم، وقرت عيونهم، فقد أتى من طال انتظارهم له، جاء العالم الذي علقوا عليه آمالهم، جاء المجيد صاحب الهيبة والهيئة الحسنة، متوجًا بتاج العلم

والفضل، متشحًا بلباس العلماء الذي لا يوازيه لباس، جاء كأمثل رجل من رجالات العلم، كما يصفه العلامة الشيخ علي المرهون [١]. جاء يحمل علمًا غزيرًا يشار إليه بالبنان، جاء يحمل إجازات من أفاضل العلماء.

استقبله الناس والمحبين، وأقاموا له حفل تكريم مشيدين بعلمه وفضله [٢].

حظي الشيخ بجمهور كبير في المنطقة، حيث ورث مكانة أبيه وجده، يعرف ذلك من رآه في صلاة الجماعة، وصلاة الجمعة التي يقيمها في سيهات، ويحضرها حشود كبيرة من المؤمنين، ومن رأى احتفاء الناس به حين يفد لقريتهم ليقيم ضيفًا عندهم، يوجههم ويرشدهم، ويصلي بهم.

وهكذا عاش الشيخ كل عمره عزيزًا في قومه محترمًا مهابًا أبًا للجميع، لذا حين توفي وشاع نبأ وفاته تجلت الفجيعة والحسرة على وجوه محبيه، وأحسوا باليتم، وهرعوا إلى تشييعه زرافات زرافات، نادبين لاطمين، وكان تشييعه عظيمًا لم تشهد سيهات مثيلًا له من قبل إلا تشييع والده، والحال في الفقد والفجيعة سيان، وهو شاهد أيضًا على جمهوره الذي قل نظيره في منطقتنا.

(١) شعراء القطيف، ج٢، ص١١٤.
(٢) ذكر ذلك ملا حسن باقر.

روائع فنية

هناك منهجان انتهجهما الشيخ، ويعتبران من روائعه الفنية، وهما الخطابة والكتابة.

الخطابة :

لا شك أن شيخنا الراحل كان من أوائل الخطباء في منطقتنا (القطيف)، وممن واكب نهج التجديد في المنبر الحسيني. إذ كان الخطباء سابقًا يعتمدون على ذكر سيرة الحسين عليه السلام، ومحاولة إثارة عواطف الجمهور بذكر رواية تبين منزلة الحسين عند رسول الله صلى الله عليه وآله مثلاً، ومن ثم ربطها بما جرى له في كربلاء بوضع مخالف لما كان، كأن يذكر مثلاً بين تقبيل رسول الله صلى الله عليه وآله لفم الحسين عليه السلام ثم يربط ذلك بضرب يزيد (لعنه الله) لفم الحسين بمخصرته، ثم يعرض المصاب في قالب شعري حزين وغالبًا ما يكون باللغة الدارجة، وفي ذلك أجر وفضل كبير، وكان الناس يضجون بالبكاء حتى بعد نزول الخطيب من منبره.

ثم جاء رواد التجديد في المنبر الحسيني، ورأوا الحاجة إلى تثقيف الناس وتوعيتهم في أمورهم العقائدية، والدينية، والمذهبية، والاجتماعية، والتاريخية، وغيرها.

فصارت الخطبة عبارة عن افتتاح بذكر الله سبحانه، واسترجاع، وبسملة، والتجاء، ثم الصلاة على النبي وآله ﷺ، والتأكيد على سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ثم ينشد الخطيب قصيدة باللغة الفصحى تخص المصاب الذي سيتناوله، وعادة ما يربطها بقصيدة شعبية، ثم يتلو آية من كتاب الله الكريم، أو حديثًا، أو نصًا ما، ويقوم بشرحه، كل حسب اسلوبه في العرض والشرح، ثم يربط موضوعه بحدث من أحداث كربلاء الأليمة، ويشرع في وصف المصاب حكاية ثم شعرًا، وغالبًا ما يكون ذلك باللغة الدارجة.

هكذا كانت منهجية المجيد، والذي لم يسمعه يمكنه معرفة ذلك من كتابه المنح الإلهية الذي أشرنا له سابقًا.

بدأ الشيخ تعلم الخطابة كما أسلفنا على يد والده المقدس، الذي كان يصطحبه وبعض إخوته إلى مجالسه، ويطلب منهم حفظ بعض القصائد الحسينية ليلقوها على المنبر قبل صعوده إليه، وهي الطريقة التي يتبعها الأساتذة، وتستمى (المقدمة)، ويسمى القائم بهذا الجزء (صانع)، وبعد وفاة والده واصل دربه مع الخطيب الشهير ملا علي بن سالم السيهاتي.

كان خطيبنا المجيد منذ بدايات عطائه من الخطباء المبرزين القديرين، يجلس تحت منبره جمهور كبير، وقد قرأ أول مجلس مستقل في (البصرة) فكان له حضورٌ كبير، وتأثيرٌ فعال، وإعجابٌ من قبل الجمهور.

لا زلت أذكره حين كنت في العاشرة من عمري، أجلس عند باب الحسينية الجعفرية بالعوامية، الباب الذي يفصل بين المجلس والممشى المؤدي إلى الخدمات (الحوي)، وليس هذا منتهى المجلس، بل هناك أناس خلفي، وأناس أمام البوابة الغربية في الساحة، وأناس أما البوابة الشرقية، وأناس فوق الحسينية، ونساء خلفها، كلهم يستمعون إليه بإنصات وإعجاب، وهو يقرأ بذلك الصوت الجهوري، السليم في مخارج حروفه، يقول الشيخ المرهون: «أضف إلى كونه عالماً فاضلًا، كونه خطيبًا لسنًا مفهومًا [1].

يعرض الحدث أو القصة بأسلوب جميل معبر، يُصير من يسمعه كأنه يشاهد فيلمًا سينمائيًا، لا لما يحدثه من حركات أو إثارات فحسب، بل بأسلوب حكايته وتمثيله للحوار، وظهور السمات الفنية في إلقائه وتعابير وجهه.

أما إذا وصل للمصاب الحسيني، فإنه يحدث في الحسينية زلزلة شديدة بصوته الجهوري، وهتافاته وا حسيناه...، وهتاف الناس معه.

(١) شعراء القطيف، ج٢، ص١١٤.

ويصف قتال الأبطال في المعركة بكل دقة، وعندما يصل إلى المصيبة يضرب بيده مقبض المنبر، فتنتاب الجسم قشعريرة، وتحس بأنك في المعركة، وكأن الحرب قد قامت. كنا في هذه اللحظات نضع أيدينا فوق ركبنا التي احتويناها بأيدينا، جالسين القرفصاء، باكين منتحبين.

كنت حينها أختلس النظر، فأرفع رأسي قليلًا وأراه واقفًا على أعتاب المنبر، يلوّح بيده كحركة السيف، فيقشعر جسمي ثانية، وأنا أرى هذه الهيبة بهذه الهئية ماثلة أمامي.

وإذا انتهى ونزل من منبره، تحس أن عاصفة هوجاء مرت وهدأت ولم يبقَ منها سوى صفير الرياح الذي يحدثه أنين ونحيب الباكين كأنهم الثاكلات.

استمر الشيخ على هذه الطريقة الرائعة وهذا العطاء إلى آخر حياته، إذ كان يفخر بخدمته للحسين عليه السلام، وعلى الرغم مما أصابه في آخر حياته من ضعف الصحة، وكثرة الأمراض، إلا أنه لم يترك هذه المهنة التي كان يعتبرها شرفًا وذخرًا له في الدنيا والآخرة، وسبيلًا إلى النجاة يوم القيامة، ونورًا له في قبره، فكان يرفض أن يترك خدمة السبط الشهيد، مع أن ذلك كان يؤثر على صحته، ونصحه المقربون بذلك، إلا أنه كان يرى في ذلك شفاء له. فواصل الخطابة حتى الليلة التي سبقت ليلة وفاته.

اقتصر الشيخ ـ غالبًا ـ على بعض الموضوعات التي جاءت في

كتابه المنح الإلهية، يلقيها في العشرة الحسينية كل عام، مع التجديد والإضافة عليها، لأنك إذا قرأت مجلسًا من كتابه المنح ترى أنه لا يأخذ أكثر من ساعة، وقد كان يخطب ـ أحيانًا أكثر من ساعتين.

وربما كان يريد أن يحافظ على الركائز الأساسية في الموضوع، ويلبسه حلة جديدة في كل عام.

أحب جمهوره هذا الأسلوب، لذلك لم يفقدهم، فقد عشقوه، وظلوا يشمون فيه ومنه عبق الولاء للحسين الشهيد، وللنبي وآله صلوات الله عليهم أجمعين.

لقد كان المجيد رحمه الله شديد التعلق بالحسين عليه السلام، ويبدو ذلك جليًا في خطابته وشعره الكثير، وفي استماعه للخطباء كما يصفه الخطيب ملا عبد الرسول البصارى بأنه «ثكلى في مجالس أبي عبد الله الحسين عليه السلام»، وذلك من شدة بكائه. ولعلّ ذلك سرًا من أسرار توفيقاته.

الكتابة:

سلسلة الآباء التي انحدر منها الشيخ المجيد، سلسلة علماء وفقهاء، لهم نتاج كتابي معروف، وقد استطاع أن يكمل هذه السلسلة بمؤلفاته القيمة التي جاوزت العشرة.

هناك كتابات علمية، واجتماعية، وأدبية، ودينية، وغيرها، ولا شك

أن الشيخ اتخذ منهج الكتابة الدينية لأنه من أهل الاختصاص في هذا الجانب، ومن خلال عرضنا لمصنفاته يتأكد لك ذلك.

أسلوبه في الكتابة أسلوب سهل في غاية الوضوح، ليس بها تعقيد ولا تكلف، يدعمها بالأدلة العقلية والنقلية كما في كتابه (هداية المسترشدين)، يرتبها ترتيبًا جميلاً بما يحتاجه كل موطن من أسئلة فقهية، وصلاة، وأذكار، كما في كتابه (دليل المسلين في أعمال الحرمين)، إضافة إلى الإجابة الواضحة المفهومة على الأسئلة الفقهية التي ترد له كما في كتابه (الأجوبة السيهاتية)، التنميق في اختيار المواضيع وحسن العرض كما في (المنح الإلهية). ومن يقرأ كتبه يستطيع أن يلحظ ذلك وأكثر.

لم يكن الشيخ من المؤلفين الذين يدفنون كتبهم بين زوايا جدرانهم، يتعبون في التأليف والبحث ثم يئدون ما يكتبون في مكتباتهم، بل كان يسعى جاهدًا لنشر ما يكتب حتى إذا اضطر أن يطبع كتابه وينشره دون اسم لظروف أمنية أو لظرف ما، فإنه لا يتأخر عن ذلك، كما فعل في ديوانه (النفثات الصدرية في رثاء العترة النبوية)، حيث طبعه مرة دون اسم، ومرة باسم مستعار.

وهكذا ينبغي أن يكون الكاتب، أن يسعى لنشر فكره وجهده حتى يستفيد منه الناس، ولا يقوم بهذا الشيء إلا من كان ما يكتبه خالصًا لوجه الله تعالى، وطلبًا لرضاه، ونيل ثوابه، لا ليتباهى ويتفاخر أمام الناس.

هذا ولشيخنا بالإضافة إلى الكتابة الدينية، كتابة أدبية تتجلى في دواوين شعره الجميلة بلغتيه الفصحى والدارجة، ولنا وقفة حول شعره، لنستعرض بعض النماذج منها.

شعره:

حظي الشيخ المجيد رحمه الله بقريحة جياشة متدفقة، ونفس مرهفة الإحساس، وروضة قاموس أدبي يتأرجح ويتنقل بين ورود مفرداته كفراشة تستنشق العبير، أو نحلة ترتشف الرحيق.

لهذا جاء شعره سلسًا رقيقًا، واضح الألفاظ والمعاني، ليس فيه تكلف ولا تعقيد، ولا غموض.

تعددت قوافيه، وتعددت أوزانه وإن كان أكثرها الخفيف، والكامل، ثم البسيط، وتقرأ في ديوانه شعرًا ينم عن رقة المشاعر والأحاسيس.

أغراضه:

أكثر أغراض الشيخ الشعرية المدح والرثاء سيما في النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، وكتب قليلاً في أغراض أخرى سوف نشير إليها لاحقًا. وما سنعرضه من ديوانه المراثي الإسلامية.

١. المدح: كثر مدحه في أهل البيت عليهم السلام، ومن ذلك قصيدته التي أنشأها في مدح أمير المؤمنين عليه السلام بعنوان (في كعبة الله) ص٢٤، جاء فيها:

ضاءت بنورك جملةُ الأركانِ ... وتمايسا طربًا لك الحرمانِ
حرمُ الإلهِ بمكة وبيثربٍ ... حرمُ الرسولِ المصطفى العدنان
أضحت إليك أبا الحسين مشيرةً ... تهوي إليك كيقظةِ الوسنان
دينُ الإلهِ تشامخت أركانُهُ ... وعلت بسيفك يا فتى الأكوان
أنت الذي حزت المكارمَ والتقى ... وسموتَ فضلاً يا عرى الإيمان
مَن عروةُ الإيمانِ؟ إلا حيدر! ... مولى البريةِ شعلة الرحمن
شرّفت يا شمسَ الإمامةِ كعبةً ... خلدت بذكرك طيلةَ الأزمان
يا نقطةَ الباءِ العظيمةِ إذ أتت ... من باءِ بسمِ اللهِ في القرآن
كادت تطيرُ سما الحياةِ مسرةً ... لما سموتَ بحجةِ الرحمن

٢. **الرثاء والعزاء:** وقد كثر رثاؤه في أهل البيت النبوي عليهم السلام نسأل الله أن يكون له بكل بيت من أبياته قصراً في الجنة، كما رثى أباه وجده وزوجته. ومن ذلك قصيدته التي أنشأها في رثاء الإمام الصادق عليه السلام ص٦٦:

شاب رأسي واليوم دمعي تحدر ... وانحنى الظهرُ والفؤادُ تفطرْ
وغدت أضلعي حنايا ضرامٍ ... وكذا مهجتي غدت تتشطر
لمصابٍ دهى الخلائقَ طرًّا ... لاطماتِ الخدود والجوُ مغبر
وغدا الكون كاسيًا بالرزايا ... وكذا الأفقُ بالهمومِ تكدر
أيُ شيءٍ عنيتُ فيما دُهينا ... من مصابٍ لقد لفانا ودمر
قلت فافهم لما أقول وحققْ ... لك يا صاحِ فاستمعْ وتبصر
إنها فجعةٌ أتتنا بيومٍ ... فجعتنا بدينِ طه المظفر

هُدمـــت رايـــةُ العلـــومِ بيـــومٍ جعفـرُ الصـدقِ بالبلايـا تكـدر

وقال في رثاء والده الفقيه الحجة الشيخ علي أبو المكارم، ص١١٧:

نعتك المعالي والعلوم جميعا كذا المجد أضحى داميًا ووجيعا
غدوت وأضحى الدهر بعدك شائكًا إلى جنة تدعو إليك سريعا
فسرت بيوم عمَّ في الكونِ حزنُهُ فأبدا علينا لوعةً وخشوعا
تدكدكت الدنيا بفقدِك كلُّها ودُّك عمـادُ الديـنِ فيـك بخوعـا
فيا لك من حبرِ المعارف والتقى ويـا كهـفَ عـزٍ فـي الأنـامِ منيعا
ويـا بحـر علمٍ قـد تلاطـمَ موجُهُ فاغـرقَ أفـذاذًا شـجًا ودموعـا

وقال راثيًا زوجته أم الشيخ محمد علي، ص١٢٠:

أيـا صفـوة الـروح مـن روحـكِ تنغصـتُ فـي العيـش مـن بعدكِ
ويـا نجمـةً قـد عراهـا المغيـ ـبُ فأظلمـت اليـوم أرجـاؤك
ولمـا دهانـي حديـث الوفـاة غمـرتُ بشـجواءِ أحزانـك
وكنـتُ بعيـدًا بـأرضِ العـراقِ ففاجأنـي أمـرُ ترحالـك
وكنـتِ شـهيدةَ يـوم الرحيـلِ لـك العفـوُ طيلـةَ أيامـك

٣. **الرجاء والطلب من الله تعالى ومن أهل البيت عليهم السلام:** جل قصائده إن لم تكن كلها كان يختمها بالرجاء والطلب، وإليك مقطوعة من قصيدته في الإمام الكاظم عليه السلام ص٧٠:

يا سـيدي هذي عروس[١] قد أتت
خذهـا إليـكَ بعفـةٍ ووقـارِ
قد صاغهـا (عبدُ المجيدِ) خديمُكم
فغـدت تباهـي الشـمسَ بالأنـوار
عبدُ المجيد خديمُكم طولَ المدى
يرجـو نوالكـمُ بأمـرِ البـاري
(إذ)[٢] أنتم الوسطا لمن فوق الثرى
وأنـا فريـدٌ مغمـر بصَغَـار
ولـذاك أرجوكـم إزالـةَ علتـي
مـن كلِّ مـا قـد كان مـن أوزاري
فأنـا المقـرُ بجرمتـي لكنكـم
أهـلٌ لكشـفِ مهمتـي وشـناري
وعليكـم صلـى إلهـي دائمًـا
مـا غنـت الورقـا علـى الأشـجار

٤. **المناسبات:** قال في تجديد بناء قبة جده الإمام الشيخ جعفر أبو المكارم سنة ١٣٧٢ هـ:

قبـةُ النـورِ قـد علـت بهداهـا فـي أراضـي البحريـنِ قـامَ بناها

(١) يعني القصيدة.
(٢) لعلها سقطت من الطباعة.

يالها قبةُ العلى والمعالي ... قد تسامى عبيرُها بسناها
وغدى نورُها يشقُّ الدياجي ... وشذاها يذكى كمثلِ ضياها
فعلت وارتقت بنورِ إمامٍ ... علمُ طه في قلبِهِ قد تناهى
خلدت قبةٌ إلى الحقِ دومًا ... حيث ضمت لجعفرٍ في فناها

فنونه:

نختار لك بعض الفنون الشعرية التي كتب فيها، ومنها:

١. **الموشح:** نختار مقطعًا من موشحه في مدح سيد البشر المصطفى ﷺ، ص٤:

أيُ يومٍ أشرقَ الكون بنورْ ... وتغنى فيه جبريلُ الأمينْ
هو يومُ المصطفى يومُ السرور ... بظهورِ الحقِ من ربٍّ معين

****

أزهرت مكة لما أن ثقبْ ... نورهُ الخالدُ في كلِّ الأممْ
وغدتْ آمنةٌ بنتُ وهب ... تنشرُ الإيمانَ من بابِ الحكم
وبه عزت نواميسُ العرب ... إذ جلا عنها غياهبَ الظلم
وإذا الإسلامُ من ذاك الوقورْ ... نالهُ العزُّ على طول السنينْ
وبهِ العربُ سمت في كل دور ... وتسامت بصفاتِ المؤمنين

٢. **التخميس:** وهو أن تأتي بثلاثة أشطر قبل البيت الأصل الذي تريد تخميسه، وتكون قافية الثلاثة الأشطر نفس قافية الشطر الأول من البيت الأصل، على أن تكون الفكرة مترابطة، مثل

قوله ص١٤٥:

يـا من يقلبنـي والقلبُ في شـجنِ
طـورًا فيرفعنـي أخـرى وينظرني

هلا علمـتَ بقائـي معجـزَ الزمنِ
(لا تعجبوا من ترابٍ لم يغيرني)
(بل اعجبوا لعظيمِ الخطبِ والمحن)

٣. **التشطير**: وهو أن تأتي بالشطر الأول للبيت الأصل وتجعل له عجزًا يوافق القافية، ثم تأتي بصدر وتربطه بعجز البيت الأصل، مثل قوله ص١٤٣:

(قبَّلـتَ يـا عـودَ الأراكـةِ ثغرَها) فبـأيِ حـقٍ قـد وصلـتَ هنـاكا
هـذا فـمُ الزهـراءِ حـوراء النسـا (ما خفـتَ يا عـودَ الأراكِ أراكا)

٤. **المجارات**: وهي أن تنشأ قصيدة تشابه في وزنها وقافيتها قصيدة تختارها، أو حتى الموضوع، ونجد ذلك في مجارته لقصيدة الدمستاني:

أحرمالحجاجُعنلذاتهمبعضَالشهورْ
وأنا المحـرمُ عن لذاتهـمْ كلَّ الدهور

جاره بقصيدة طويلة جاء فيها ٥٠٩ بيت في الديوان، وقيل أنه أكملها حتى بلغت ألف بيت لتصبح ملحمة، نختار منها، ص١٥٥:

أحرم الحجاجُ بالعمرةِ والحجِ المبينْ
شهر حجٍ كل عام وبهِ ازدادَ اليقينْ
حين قام السبطُ من طيبةَ يرجو للرحيلْ
بعد أن جاءَ بهِ الأمرُ من الربِّ الجليل
وكذا قد قصد الأعداءُ للسبطِ النبيل
قتلهُ في طيبةٍ بلدةِ نورِ الثقلين
فغدا السبطُ إلى التوديع للجدِ الشفيعْ
داعياً للهِ عند القبرِ بالأمرِ المنيع
مخبرًا اللجدِ عما صارَ من فعل فظيع
قائلاً ياجدُ إني فرخُك السبطُ الحسين

٥. **التضمين**: أن تضع بيتًا أو شطرًا من قصيدة ما، في قصيدة لك، مثل قوله ص٢٥:

يـا بـابَ علـمِ محمدٍ عشْ سـيدًا (هـذي الحيـاةُ دقائـقٌ وثوانـي)

٦. **الاقتباس**: أن تقتبس معنًا من آية، أو حديث، أو شعر، وتنشئ به بيتًا، ومن ذلك قوله في الموشح الذي نظمه في الإمام المهدي (عجل الله فرجه)، مقتبسًا في جميع أقفاله آية من سورة ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ص١١٠:

ولأسـرارِ الهـدى قـرة عيـن وقـذاً فـي عيـنِ مـن (كانَ كفـر)
إنـك الحامـي لـكلِ المتقيـن آيـةٌ جـاءت ﴿فَهَـلْ مِـن مُّدَّكِرٍ﴾

٧. **التأريخ:** لكل حرف من الحروف الأبجدية رقم يقابله، ومنه صار الشعراء يكتبون بيتًا يؤرخون فيه أمرًا معينًا، كولادة أو وفاة، حيث يكون مجموع الحروف التي في الجملة التي كونها تاريخ السنة التي يريد تأريخها، اتخذ المجيد هذا الأسلوب كثيرًا ومنه قوله في تأريخ عمارة حسينية بن ناصر في مدينة سيهات عام ١٣٨٥هـ، ص٤١:

لهم التسديدُ من ربِّ السما ذاك المؤيدْ
أرخوهُ (لحسينٍ منزلٌ هذا فشيد)

هذا بعض ما وقفنا عليه من حيث فنونه الشعرية، وأغراضه، وأهل الاختصاص أعرف منا، ومن أراد المزيد فليراجع ديوانه.

ولمزيد من الفائدة والأمانة، كنت أود تقديم قراءة وافية في شعره، تبين ما له وما عليه، مما لا يضر بمقامه، إلا أن الأمر لا يتسع لذلك، وربما وفقت لدارسة وافية عنه في المستقبل.

خلق جليل وسلوك جميل

الأخلاق الفاضلة:

تلمع الشخصيات بالسلوكيات، لذا يسعى الإنسان السوي إلى تعديل أو ضبط سلوكه في شتى النواحي، وقد أشاد الإسلام بذاك وأوضحه، فدعى إلى العدل، والتواضع، وحسن المعاشرة، والبذل والعطاء، ومد يد العون إلى المحتاجين، وزيارة الأرحام، واحترام الناس، وغير ذلك. كلها أمور تدعو إلى تكامل شخصية الإنسان وسموه. من يلتزم بهذه الصفات وهذه الأخلاقيات يكون مهابًا محترمًا مقدرًا بين الناس ووجيهًا من الوجهاء.

نريد أن نشير هنا إلى بعض سلوكيات وأخلاقيات الشيخ المجيد رحمه الله، على سبيل العد، لا على سبيل الحصر. فمن يذكر بعض شيء خير ممن يترك كل شيء.

من السلوكيات التي لمعت في شخصية الشيخ المجيد رحمه الله:

١ـ الكرم وحسن الضيافة:

لا غرو أن يتصف المجيد بصفة الكرم وحسن الضيافة، فهو ابن أبي المكارم الشيخ محمد، الذي عرف بكرمه وحسن أخلاقه، حتى نقل عنه أنه كان لا يأكل وجبة إلا ومعه ضيف، أو فقير يتصدق عليه، حتى إذا لم يجد أحدًا، خرج بنفسه باحثًا عن ضيف، أو من يتصدق عليه، وكان يدعو الله في ذلك الأمر، حتى اشتهر بهذه الصفة بين الناس ولقبوه بأبي المكارم.

من نزل ضيفًا عند الشيخ المجيد، يشهد له بالكرم وحسن الضيافة، كما أنه يشرف على خدمة ضيوفه بنفسه ما أعانته صحته على ذلك. تحدث وأشاد بهذه الصفة فيه الخطيب الشهير العلامة الشيخ حسن الصفار، ضاربًا مثلاً بأبوته وحسن ضيافته له ولأقرانه، وذلك في مجالس الفاتحة الذي أقامه لتأبينه.

حيث أشار الشيخ الصفار إلى أنه عندما طرحنا فكرة المجلس العلمائي ليلتقي فيه علماء المنقطة لإحياء ذكرى أبي عبدالله عليه السلام وتداول الرأي، ووجهنا الدعوة لفضيلته، ما كان منه (رحمه الله) إلا أن رحب وشجع المبادرة بحضوره أحيانًا والاستضافة في بيته أحيانًا أخرى. فكانت ضيافته واستقباله لهم على أحسن ما ينبغي.

وقد عود أهل بيته على هذا النهج، ونُقل أن زوجته المؤمنة أم الشيخ محمد علي، كانت تكرم ضيوفه، وتفتح لهم مجلسه، وتولم لهم، سيما

في سفره، ومن الطبيعي أنها لم تقم بذلك إلا لطيب عنصرها وكرمها، ولما رأته من حسن ضيافة زوجها لضيوفه، ولأنها لا تريد أن يقفل بيت الكرم والجود في وجه قاصديه، حتى لو كان ربّ البيت غير موجود ليظل الكرم لهم علامة، ولتعلم قاصديه أن الشيخ يكرم ضيوفه حتى لو كان غائبًا، فبيته مفتوح لا يوصد، وناره موقدة لا تخمد [١].

٢ـ تلبية الدعوة:

يحب الناس عالم الدين إذا كان قريبًا منهم، يشاركهم أفراحهم وأحزانهم، ولذا يأنسون بمحضره وقدومه، ويتشرفون بدعوته، وإذا ما لبى لهم ذلك، ازدادوا فرحًا وسرورًا، وازدادوا له حبًا وتقديرًا.

لم يكن الشيخ المجيد رحمه الله يرفض دعوة من أحد ما لم يكن مرتبطًا، سواء جاءت الدعوة من غني وتاجر، أو من فقير ذي بيت متواضع. يجلس معهم بكل أريحية، وكان يتنقل بين قرى القطيف مرشدًا وموجهًا كما كان يفعل آباؤه وأجداده من قبل.

وأحيانًا يدعو نفسه عند صديق أو أخ أو قريب، رغبة في التواصل والمحبة، وفي هذا نوع من التواضع والبساطة في التعامل مع الناس، ولا أزال أذكر اتصاله ذات يوم بوالدي الكريم، قائلًا: سوف آتي للغذاء معك غدًا، وحبذا لو كان الإدام سمكًا.

وأتى في اليوم التالي، برفقة أحد أولاده وزوجته أم الشيخ سليمان،

(١) حدثني عنها الوالد الكريم.

وانتظرنا إلى أن أتينا من مدارسنا وأعمالنا، وتناولنا معه الغذاء، وتبادلنا معه أطراف الحديث.

وأحياناً تزداد إكبارًا لشخص يأتي من غير دعوة عندما تدعو أناسًا على وليمة أعددتها، متناسيًا كبرياءه، حاملًا عدم دعوتك له على ألف محمل من الخير، فتزداد فرحًا به إذ تشعر بأنه أعتبر نفسه صاحب بيت، وقدّر الظرف الذي أنت فيه.

لا يزال والدي يذكر لأخيه مثل هذا الموقف النبيل، حيث أن أخاه الحاج الوجيه عبدالحميد الذي يسكن البحرين، أتى القطيف زائرًا، وحل في بيت أخيه الشيخ عبدالمجيد، ودعاه أبي للغذاء، فأعطاه موعدًا غير مؤكد، ثم في اليوم التالي اتصل هاتفيًا بوالدي وأخبره بقبول الدعوة، وأنه متوجه إليه. عندها قام الوالد بعمل اللازم للضيافة، ودعا بعض جيرانه، على الرغم من شعوره بالإرهاق وقتها.

جاء العم عبدالحميد وجاء الضيوف، وبعد الحديث، ذهب الوالد لعمل (غليون) لأحد الحاضرين، يقول: حين دخلت المجلس تفاجأت بوجود أخي الشيخ عبدالمجيد، فصرت حينها بين الفرح والحرج، فبادرني قائلاً: لقد أتيت دون دعوة، وكان من المفترض أن تخبرني أو أقلها أن تطلب من أخيك أن يخبرني، ولكني ـ على كل حال ـ أتيت.

يقول: قلت له: البيت بيتك، ولست ممن يحتاجون إلى دعوة، وقد

شغلت ونسيت وإن كنتَ لستَ ممن ينسى، لكن للظروف أحكام، فأرجو المعذرة.

يقول الوالد: جلس الشيخ وكأن شيئًا لم يكن، ولا أزال أذكر له هذا الموقف الجميل ما حييت.

نعم حري بالاحترام والتقدير هذا الموقف وصاحبه، فعلى الرغم من المكانة الاجتماعية التي يحظى بها إلا أنه لم يتعال، ولم يتكبر على إخوته والناس، كان يعتبر نفسه واحدًا منهم.

٣ـ مشاركة الناس أفراحهم وأتراحهم:

تمر على الإنسان أيام سعيدة يحب أن يشاركه الناس فيها، ويهنونه بها، كزواج ولد، أو قريب، ويسعد أكثر حينما يحضر له من له مكانة اجتماعية.

كان شيخنا الراحل يشارك الناس وأرحامه في مثل هذه المناسبات، ويهنئهم ويدعو لهم. كنت أراه يأتي في محافل العرس التي أقيمت لأخوتي، لم يتأخر عن واحد منهم، علمًا بأنها كانت في شهر رمضان، شهر تزداد فيه الارتباطات سيما عند علماء الدين، لكنه كان يأتي ويحضر الزفاف، ويدخل مع العريس غرفته، ويقرأ عليه وعلى زوجته الدعاء المستحب في تلك الليلة، ثم يمضي.

وكما تمر على الإنسان أيام فرح فإنه تمر عليه أيام حزن، كوفاة

قريب أو حبيب، أيضًا كان الشيخ يشارك الناس في مثل هذه المناسبات، ويعظم أجورهم، وفي محضره ومحضر أمثاله خير سلوة للمعزى. وإذا كان العزاء لأحد أفراد أسرته فإنه يلتزم بالعزاء في جميع أيام الفاتحة.

٤ـ معاشرته واحترامه لغيره:

من يحسن معاشرة الناس واحترامهم يكن كبيرًا عند الله تعالى، ومحترمًا ومقدرًا عند الناس، ووجيهاً من الوجهاء. ومن يحظى بحب الناس له وحبه لهم يعش هانئًا مطمئنًا.

والشيخ المجيد رحمه الله ممن حظي بهذا، وخير شاهد على ذلك ما شوهد في تشييعه الكبير الذي حضره الكثير من أبناء المنطقة، كبارًا وصغارًا، كلهم يندبون ويلطمون حسرة على فقده ورحيله عنهم. كذلك حضورهم الكثير في مأتم العزاء ـ وخروجهم في اليوم الثالث بمسيرة عزاء إلى زيارة قبره الشريف، فكيف كان الشيخ رحمه الله؟

- **مع الناس:** ذكرنا سابقًا أن الشيخ كان يعيش مع الناس كواحد منهم، بسيطًا في تعامله معهم، يلبي دعواتهم يشاركهم مناسباتهم. وإن حدث وغضب يومًا فإنه لا يحمل الضغينة في نفسه.

يُنقل أنه حدث سوء تفاهم بينه وبين الحاج المؤمن ملا علي الدبيسي رحمهما الله، وأزعجه ما بلغه عنه، وحينما

جمعا لتوضيح اللبس الذي حصل، لم يحتج إلى ذلك ملا علي، ولا من أتى به، إذا شوهد الشيخ يتحدث معه وكأن شيئًا لم يكن. كان بقدر شدة انفعاله وغضبه، سريع العفو والرضا.

- **مع أقاربه وذويه:** قد أشرنا إلى بعض ذلك، وما ذكرناه يشير إلى حب الشيخ إلى أهله وذويه، وتواصله معهم، واحترامه وتقديره لهم. إن من يقرأ ما كتبه عن أخيه العلامة الشيخ سعيد في كتبه، وما كتبه الشيخ سعيد عن أخيه في تقريظه لكتبه، يعرف قدر المحبة والاحترام المتبادل بينهما.

كما أنني لا أنسى يوم وفاة أم أبي الحاجة المؤمنة خادمة الحسين، وأهل بيته عليهم السلام[1]، في شعبان عام ١٤١١هـ، وكان الشيخ المجيد حاضرًا في المغتسل، ثم أجل التشييع لليوم التالي حسب وصيتها، وفي صباح اليوم التالي نودي بتشييعها بحضور الجموع الغفيرة من

(١) زهراء بنت الحاج أحمد الزاهر (أم الشيخ سعيد)، تلك المرأة الوقورة العفيفة، التي كانت تعثر أحيانًا على الأرض من فرط احتشامها، وحسن حجابها، كانت تصلي الليل، وتصلي الفجر، ثم تجلس لقراءة القرآن الكريم إلى طلوع الشمس، وتهدي ما تقرؤه لوالديها وذويها وزوجها وابنها، وللمؤمنين والمؤمنات وتدعو لهم بالمغفرة والرحمة. كانت هادئة في طباعها لم يسمع عنها ذات يوم أن تكلمت على أحد بسوء، رفضت الزواج بعد وفاة زوجها لترعى وتربي أولادها، وقد أحسنت تربيتهم، وهم لها من الشاكرين.

المؤمنين، وكان الجو قبل هذا اليوم ماطرًا والأرض لا زالت مبتلة، حُمل نعشها على الأعناق، وكان الشيخ يتقدم جموع المشيعين، وحين أتي بها إلى القبر، تقدم ونزل قبرها، نازعًا عمامته ورداءه وقباءه، حالًا أزراره، وعمل لها جميع المستحبات التي تعمل للميت عند تنزيله القبر. وما ذاك إلا دليل على بره بها وبأبيه.

كما يروي لي والدي أنه رافقها ذات مرة في العمرة، فأخذها وطاف بها سبعة أشواط، ثم سألها مازحًا: أيهما يحسن الطواف بك، أنا أم ابنك عبد القادر؟ فأجابته خجلة: أنت يا ولدي.

- مع العلماء: كانت له علاقة مع الفضلاء والعلماء من البحرين والقطيف وغيرهم، وكان يقدرهم ويحترمهم ويطلب من بعضهم، أو ممن كان أقرب إليه تقريظ كتبه، كما يشاركهم أفراحهم وأتراحهم، أحيانًا بالحضور، وأحيانًا بالمشاركة في التأبين، ومن قديم مشاركاته تأبينه لآية الله الشيخ محمد صالح المبارك، قاضي القطيف وخاتمة المجتهدين فيها في زمانه، ومن حديثها تأبينه العلامة الحجة الزاهد الشيخ منصور البيات (رحمه الله).

٥ـ الولاء العميق للنبي وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين:

وأول شاهد على ذلك خدمته في المنبر الحسيني لأكثر من نصف قرن، وإلى آخر عمره في الليلة التي سبقت ليلة وفاته، كان يخطب في مجالس الحسين عليه السلام، وكذلك شعره الذي كتبه باللغة الفصحى والدارجة، وله تقريبًا ثلاثة دواوين، تحوي قصائد كثيرة وطويلة. كذلك زيارته المستمرة للمراقد المقدسة لأهل البيت عليهم السلام. ومشاركته في الاحتفالات التي تقام بمناسبة ذكرى ميلاد أحدهم عليهم السلام، وربما كتب القصيدة في ليلة وألقاها في الليلة التالية.

٦ـ قضاء حوائج المؤمنين وتلبية رغباتهم:

كان الشيخ يسعى في قضاء حوائج المؤمنين وحل مشاكلهم، كان له دور فعال في اصلاح ذات البين كحل مشكلة زوج مع زوجته، أو ولد مع أبيه، وإذا صارت عنده حالة طلاق يحاول أولاً حل الخلاف والنزاع، والاصلاح، إلا إذا كان لا بد من الطلاق فذاك أمر آخر.

ذكر لي الخطيب ملا حسن بن باقر بأنه أحد العلماء الذين ذهبوا للرياض لمطالبة المسؤولين بإعطاء أهل القطيف الحرية في معتقداتهم وممارساتهم الدينية كصلواتهم وأذانهم كذكر الشهادة الثالثة، وذكر أنه حدث هجوم على مسجد الإمام المهدي عليه السلام الذي يصلي فيه، وتم أخذ ما فيه من ترب وكتب، فشكا له المؤمنون، فقال: دعوا الأمر لي. وذهب إلى أمير القطيف، آنذاك، قبل أن يصبح محافظًا، وقص عليه

الحدث، وقال: إن كنت أمرت بذلك فلنا مرجع يجمعنا وإياك، وإن كان بغير علمك فأنت المسؤول. فاعتذر له الأمير، وتم إرجاع ما أُخذ.

أما عن تلبية رغبات المؤمنين، فإنه إذا طلب منه شيء ورأى أهميته وأن فيه إفادة للناس، لا يتأخر عن تأديته والقيام به، والذي ينظر إلى مؤلفاته يلمس هذا الجانب، فهو دائمًا يذكر في مقدمات كتبه: أن أحد الأصدقاء طلب منه كتابة موضوع في جانب معين، وألح في ذلك عليه، عندها لا يجد بداً من الإجابة، وقد سأله الوالد الكريم إن كان قد نظم قصيدة في حديث الكساء ليضعها في كتابه (الكساء في معارف الأمة الإسلامية) لو طبعه مرة ثانية، وما هو إلا أسبوع واحد، وإذا به يأتي بتلك القصيدة (الدرة الحسناء).

٧ـ الاعتماد على الذات:

بعض العلماء يلقي كثيرًا من مهامه على من حوله، إلا أن الشيخ لم يكن كذلك، كان يعتمد كثيرًا على نفسه في قضاء حوائجه، كان أول من قاد سيارة من العلماء في القطيف ـ وكان ذلك غريبًا وغير مألوف ـ كان يسافر بسيارته إلى المدينة ومكة وسورية، وإذا تعطلت عنده ماكينة تشغيل الماء، أو الكهرباء (الماطور) في مزرعته أصلحها بنفسه، إلا إذا استلزم الأمر فنيًا لذلك، كما كان يقوم بتجليد وتغليف كتب مكتبته إذا كانت دون غلاف، أو آل غلافها إلى الترهل، كان يخيطها ويجلدها حرصًا عليها.

عطاء مستمر

الأدوار والفعاليات:

يبرز عالم الدين، ويتميز أكثر إذا كان له دور فعال في مجتمعه، وتتنوع أدوار العلماء في كل منطقة، فما هي الأدوار الفعالة التي قام بها الشيخ المجيد رحمه الله؟

١. **الخطابة:** مارس دوره الخطابي لأكثر من نصف قرن، وقد أشرنا إلى ذلك سابقًا.

٢. **إمامة الناس في الجمعة والجماعة:** التزم بصلاة الجماعة منذ زمن طويل، منذ عودته من كربلاء، ولم يتخلف عنها منذ أقامها إلا لأمر طارئ كسفر أو مرض، كما مارس إمامة الناس في الجمعة، وتعتبر جمعته هي الجمعة الوحيدة التي يقيمها عالم شيعي في منطقتنا لفترة قريبة، مارسها منذ الثمانينات وحتى آخر عمره الشريف، ومعروف ما لصلاة الجمعة والجماعة من

دور فعال وكبير في تثقيف الناس وتوعيتهم وإرشادهم. كذلك التزامه بصلاة العيدين والآيات،...

٣. **الإرشاد والتوجيه الديني:** مارسه عبر التأليف والخطابة، كما أنه كان ينتقل من بلدة إلى أخرى من قرى القطيف ليقيم فيها صلاة الجماعة، ويرشد الناس.

٤. **التصدي لبعض القضايا الاجتماعية:** أشرنا سابقًا إلى دوره في إصلاح ذات البين، كما له دور في مساعدة الفقراء والمساكين والأرامل. وكذلك إجراء عقود الزواج والطلاق. ونشير هنا إلى تصديه لإثبات الهلال، فلكثرة مريديه في المنطقة كان لا بد من أن يتوجه لهذا الأمر، فكان الناس يصومون ويفطرون اعتمادًا على قوله، لعلمهم بشدة احتياطه وتشدده في هذا الأمر. وتشدده في هذا الأمر إنما كان لحرصه الشديد على القيام بواجبه الديني، ومتى ما اطمأن للشهود وقبل شهادتهم أعلن للناس ثبوت الهلال، أما إذا لم يطمئن للشهود خيّر الناس في أن يفطروا مع من يثقون به من بقية العلماء، أو أن يقطعوا مسافة شرعية، أو أن يلتزموا بأمره.

ذكر سماحة الشيخ حسن الصفار في مجلس الفاتحة سهولة تعامل الشيخ المجيد في هذا الأمر حينما كان يذهب بالشهود له ـ يقول: متى ما اطمأن للشهود ما كان يتردد في قبول شهادتهم.

٥. **المساهمة في تعمير بيوت الله عز وجل والحسينيات:** كان هذا الدور بارز في مختلف المناطق التي يرتادها الشيخ، ومن ذلك مساهمته وإدارته للمشاريع التالية:

- في سنة ١٣٨٠هـ أعاد بناء مسجد الشيخ عقيل بحلة محيش ووسعه، وبعد ٣٠ سنة أيضًا أعاد ترميمه، وكلف أكثر من نصف مليون.
- بناء مسجد الإمام المهدي ـ عجل الله تعالى فرجه ـ بسيهات وهو المسجد الذي يقيم فيه جماعته وجمعته.
- عمل حمام عمومي للرجال وآخر للنساء كل قسم مستقل بذاته وبخدماته، وذلك في حلة محيش، وذلك لحل أزمة المياه عندهم، ولقضاء حوائجهم.
- بناء حسينية اليوسف في حلة محيش.
- الحسينية التي أوقفها في بيته القديم تحت مسؤولية أم محمد ضياء.
- الحسينية التي أوقفها في بيته الحالي تحت مسؤولية زوجته أم الشيخ سليمان.
- مجلسه العامر.
- إعادة بناء حسينية الشيخ جعفر المعروفة بالحسينية

الجعفرية بالعوامية، وكان رحمه الله يسعى لإعادة بنائها مجددًا وتوسعتها، ولذلك اشترى بعض القطع المجاورة، وكان يتمنى أن تكون أكبر حسينية في العوامية، وأن يقرأ فيها مجلس عزاء على أبي عبدالله الحسين عليه السلام، لكن بيروقراطية القوانين، وحلول الأجل حال دون ذلك. ويُذكر أنه رصد لها مبلغًا كبيرًا لبنائها، نسأل الله تعالى أن يوفق أهله وذويه لإتمام مشروعه الذي كان يريد إقامته، ومات وفي قلبه حسرة عليه.

وله مشاريع وأدوار أخرى، لكن هذا ما وفقنا لعده[1].

(١) نقلاً عن الوالد، وملا حسن باقر.

وداع

في شهر رمضان المبارك لهذا العام ١٤٢٣ هـ، وبعد أن قرأ فضيلته مجالس العزاء على شهيد المحراب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وبعد أن أقام ليالي القدر المقدسة التي هي خير من ألف شهر.

في هذا الشهر العظيم وعلى مقربة من العيد كان الشيخ يبدي علائم الوداع، كان يخبر محبيه: أني لن أعيد معكم هذا العام، سوف أسافر.

نعم سفر ولكنه سفر طويل، سفر لا رجعة منه، بعض الناس كانوا يضنون أنه سيسافر كعادته إلى الأماكن المقدسة، والبعض كانت علامات التعجب والاستفهام تدور في ذهنه، لماذا يودعنا الشيخ؟ لماذا يقول إني لست معكم في عيدكم؟ ما كانت هذه عادته من قبل!

الحاج حسن بن مهدي رمضان يقول: نزل الشيخ من منبره ليلة السبت الخامس والعشرين من شهر رمضان هذا العام، وأنا جالس تحت منبره، وقال فضيلته وهو نازل: هذه آخر مرة أصعد فيها المنبر.

فلماذا يقول هذا، والشهر لم ينتهِ بعد؟

وإذا بليلة السادس والعشرين تكشف لهم ما خفي عنهم، صارت تلك الليلة شديدة السواد، شاحبة كئيبة، والناس كمثلها في هلع وذهول، ماذا حدث؟ صحيح ما يقال وما نسمع؟ ربما في الأمر لبس؟

وكأن الأمر محال، وإذا بالنداء يأتي ليصك مسامع الجميع: مات فضيلة الشيخ عبد المجيد.

لا إله إلا االله، البقاء والدوام والملك لله، إنا لله وإنا إليه راجعون.

صار الناس يرددون هذه العبارات، ودموعهم تجري فوق الخدود، وهرعوا نحو المغتسل، ثم عادوا ظهر اليوم التالي إذ أجل التشييع، أتوا وكانوا أكثر من ليلة البارحة، حضور رهيب، علماء وأفاضل، كبار وصغار، واللوعة تكوي قلوبهم، وهم يحملون ذلك الجثمان الذي عشقوه وأحبوه إلى حيث مثواه الأخير.

ثم أقيمت له مجالس العزاء (الفاتحة)، عصراً وليلاً، قرأها عدة خطباء.

وبعد العيد أقيمت له الفواتح في معظم مدن وقرى القطيف، إن لم تكن كلها.

فوداعًا أيها العالم الجليل..

وداعًا يا صاحب الهيئة والهيبة والخلق الجميل..

وداعًا يا قائد شعب رأى فيك الأب الحنون، عاش فيهم محترمًا مقدرًا حتى اختطفته من بينهم يد المنون، فصيرهم في عالم الأحزان والأشجان..

وداعًا يا شيبة الجلال والوقار، ويا عنوان المجد والفخار..

وداعًا ملؤه الشجن والبكاء، والحزن والعزاء..

وداعًا يا أيها الودود واللطيف..

وداعًا يا مجيد القطيف..

أديب أبو المكارم

١٨/ ١٠/ ١٤٢٣هـ

ملاحظة

هذا ما وفقنا لكتابته في هذا البحث، على ضيق في الوقت، لذا أرجو التماس العذر منك أيها القارئ العزيز.

وإذا كانت هناك أية ملاحظة أرجو إفادتي بها، عسى أن نوفق لطباعته مرة أخرى.

ولك خالص الشكر والتقدير

أديب أبو المكارم

Adeeb110@gmail.com

0561278801